



تموز - آب ١٩٥٢

العدد السادسة والاربعون

تاريخ الدول السرياني

تأليف ابي الفرج الملقبي (تابع)

بنقل الاب اسحق ارملة السرياني

بعد المستظهر المسترشد ابنه

تولى سبع عشرة سنة وثمانية شهور . ولما يبيع بالخلافة حلم خوراني خمر
وافرة كانت لايه وأتلفها . وطرد المطربين والمطربات من البلاط . ورأى
أباه في الحلم يقول له : أخرجني من عندك ثلثاً آخذك الي . فاضطرب ونقله
ودفنه في مكان آخر . وجعل يبيد التصوف . وكبس دار المحامي ابي طاهر
ابن احمد وعثر فيها على بيعة بما فيها من آية المذبح وقال له : ما هذا ؟ فقال :
كانت لي زوجة نصرانية صنعت ذلك دون معرفتي .

وفي السنة ٥١٢ للمرب (١١١٨م) احتل (٢٨٢) حران الامير ايلغازي بن ارتق وأوتق شيوخها المشاهير وقاضيا . وكان صاحب حلب قد سبق فدفع لرجير صاحب انطاكية ذهاباً وافتراً ولم يقدر ان يهادنه الا اربعة اشهر فقط ريثما أقبل الحصاد ورفعت الياادر فقاد رجير الى حلب وحاصرها فاستنات الحلبيون بالامير ايلغازي بن ارتق صاحب ماردين فحشد سبعة آلاف تركي واقبل يناوش الفرنج حتى كسرمه وقتل رجير في المعركة وانهمز سائر الفرنج الى انطاكية . فزحف اليها الاتراك واحتلوا ضواحيها وقتلوا يربان كثيرين في الجبل الأسود . وبلغ بغدوين الثاني ملك اورشليم ما صار فتبع الاتراك . وكان كنازهم قد اجتاحوا الرجلة الفرنج وانتقض عليهم وبطش بهم قاطبة . ثم عاد يريد ايلغازي واستنقذ النسبة من يديه ورجع بها الى انطاكية . وذكر البطريك ميخائيل المعبوط ان غازي بن دنشند هو الذي كسر الفرنج وقتل رجير . ولعل تشابه الاسمين اوقعه في الخطأ والغلط .

وفي هذه السنة احتل صاحب ملطية بلد جيحان وابلستين وقلمة قطيعة . وفي شباط تلك السنة غزا الفرنج بلد ملطية وغزا الاتراك بلد جبر . وغزا صاحب ملطية بلدة قماح فصار صاحبها الى طرابزون واستنات باليونان فبشوامه القائد جبراس . فناوشه صاحب ملطية وبلك وظفرا به واعتقله فدفع لها ثلاثين الف دينار وعاد الى وطنه . وانتزع ايوني ملك قسطنطينية ثلاثة حصون من الاتراك . وأحرق ايلغازي غلات بلد الرها . وغزا ضواحي انطاكية . ومات طفكين صاحب دمشق وخلفه ابنه فحصل عليه التنطاش التركي وبطش به وتولى مكانه .

وفي السنة ٥١٥ للمرب (١١٢١م) انتقض الملك مسعود في الموصل على اخيه السلطان محمود دون موافقة الامير زنكي . وحشد الجيوش ونازل اخاه السلطان فكسره السلطان وقبض عليه وادنته بالأغلال . وولى الامير برساقى بلاد الموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبمشه اليها .

وارسل ملك قسطنطينية اليوناني في تلك التخون الى ايلغازي بن ارتق يقول : ان جماهير غصيرة من الفرنج خرجوا من البحر الى سورية فيجب ان

نتمد لمقاتلتهم . واذا احتجت فاني منجدك بثلاثين الفاً . فارح ايلغازي وسد المواني واجهز على الكثيرين من الفرنج وتقهقر البقية الى فرجية . وتم ذلك بدسية اليونان المكارين .

وكان ارمن جرجر يتلصصون يومئذ في اطراف حصن زياد وبولا وملطية فأرسل بلك الامير التركي الى ميخائيل الارمني صاحب جرجر يعده بان يؤدي له كل سنة الف حمل من نطة وثلاث قري من قراه بشرط ان يمنع اصحابه عن التلصص . فأقسم له ميخائيل في ذلك غير مرة ولكنه حث في نفسه فكانت الخنطة تصل اليه والصوصه يواصلون احراق القرى في هتريط . وعند ذلك عبر بلك جليد القرات الى جوبلس في شباط وكانت الثلوج متراكمة في الجبال فوجه الف حصان قطمت جبل قريونا الشاهق وشقت الثلوج فسارت الجيوش التركية ووصلت في يوم واحد الى دير برصوما . وفي تلك الليلة شق الاتراك جبل الجدار في جرجر وانقضوا صلحاً على ملطية المنكودة الحظ وغزوا ضواحيها يوم الاثنين اول كانون الثاني ١٤٣٢ لليونان (١٢٢١ م) واجتاحوا الاهالي والبهائم وانطلقوا . وأسفت بلك على الفلاحين المسيحيين وترك لهم ما لهم كله وذهب بهم الى هتريط وشدد عليهم الأمر بان لا يعودوا الى جرجر والافانه متى اقبل ثانية الى تلك النواحي فلن يشفق عليهم .

وفي السنة ١٤٣٣ لليونان (٢٨٤) (١١٢٢ م) وجه السلطان محمود جيشاً ضخماً من الاتراك الى بلد الكرج فأوحد الملك الثغور وقتك بالكثيرين منهم . وغزا جوسلين الفرنجي بلد جوبلس . وفي هذه السنة مات ايلغازي بن ارتق .

اماً جوسلين فبعد وفاة امراته اقترن بابنة رجبير صاحب انطاكية واراد ان يأخذها معه الى الرها . لكن بلك اقام لها كفا . قبضوا عليها ومضوا بها الى بولا . وتحنى ميخائيل الارمني للملك بغدوين عن جرجر على اثر تغلب الاتراك عليه واكفى بموضع آخر .

وفي السنة ٥١٧ للمرب (١١٢٣ م) شخص ابن شهزوري قاضي الموصل الى بغداد وأدى للخليفة خمسة آلاف دينار واحتل غربي دجلة كله من حدود الموصل حتى البصرة .

وكان الفرنج في السنة ١١٣٤ لليونان (١١٢٣ م) مخيمين في شاطئ نهر سنجا فانتقض عليهم كين ملك الامير التركي وناوشهم وقبض على الملك بندوين يوم الاربعاء من اسبوع البياض . وتأهب القنصان جوسلين وغالران كل الصيف لمنازلة الاتراك حتى تلاقى الجيشان في ايلول . فانكسر الفرنج واعتقل القنصان ليلة عيد الصليب وسجن بلك ثلاثتهم في جيب بقلعة خربت وهي حصن زياد . ولما عرف بعض العتلة الارمن ان ليس في القلعة الا القليلون احتشدوا في بابها يتذمرون بسبب اجرتهم . ثم وثبوا وانتزعوا ما هناك من السيوف وفتكوا بالحراس الاتراك . وسارعوا الى الجيب فانشلوا الملك بندوين وجوسلين وغالران واجهزوا على الرب واحتاروا القلعة . ثم احتال جوسلين فتأدر القلعة ليلاً مع رجل ارمني وذهب ليأتي بجيش يحتل القلعة ان تيسر او يتخذ الملك بندوين . غير انه ما كاد يخرج جوسلين (٢٨٥) حتى وصل بلك وصوب المنجنيقات نحو القلعة واحتلها وقتل سبعين من الفرنج والارمن . واخذ الملك بندوين وابن اخته غالران ومضى بهما الى منبج وحاصرها فرماه اخدهم من النور بسهم قضى عليه وانهمز عاكره الى حلب وولوا تيورطاش ابن عمه زعامتهم فباع الاسيرين بمائة الف دينار . وعاد بندوين الى اورشليم . وتولى حصن زياد سليمان نسيب بلك وتولى صاحب ملطية مسارا وجرجر .

وظهر نجم ضخيم طوله من الجنوب الى الشمال . وعرضه كقرية حصان وظل مدة شهرين .

ويوم الجمعة ١٣ حزيران ١٤٣٥ لليونان (١١٢٤ م) انتقض على ملطية الامير غازي بن دنشند صاحب سبسطية واجتاح ضاحيتها كلها وحصر المدينة شهراً واحداً . ثم ترك في قرية سامان ابنه محمداً مع جيشه كثيف وأمر بتابعة الحصار دون ان يدع احداً يدخل المدينة او يخرج منها . وكان عرب صاحبها غائباً يتلصص بلد دنشند ويحتاحه . وتقام جوع الملقطين حتى بيع قفيز الحنطة اعني حمل الجحش بستة وثلاثين ديناراً ذهباً . وفي القوت اخيراً بللرة وجمل الاهالي يبلون اجلثود اللينة وغلت الكتب والأحذية وينسلقونها ويأكلونها واضمحلت السنابير والكلاب والحير اضمحلاً تماماً . هكذا انتابت ملطية

الثامنة ثلاث ضربات أليمة : السيف يفتك بكل من يفادرها والجوع يحتاج من في داخلها وايزابيل الثانية أم السلطان التي فوّت من الموصل تشدد على الأعيان لتسلبهم الذهب وتنهزم او تجتاحهم قاطبةً وتنطلق .

وظهرت يومئذ نجوم تنساقط من السماء .

وحين ذاك تحنّن الربّ (٢٨٦) على خصاصة المسيحيين فارتحلت تلك الملعونة مع ابنتها ليلة الاربعاء . عاشر كانون الأول ١٤٣٦ للثوراني (١١٢٥ م) ودخل الأمير غازي وشاهد البقعة الباقية كأثماً خارجة من القبور بسبب الجوع . وأبدى للجميع كلمة التشجيع والتسليّة وأعطى الفلاحين حنطة ليزرعوها واستحضر البقر والثيران والأغنام حتى انتعشت المدينة .

وذكر البطريق ميخائيل المنبوط ان الخليفة المستظهر مات في هذه السنة وخلفه ابنه المسترشد . ولعلّه اخطأ في روايته بسبب اختلاف سير أعوام العرب القرية وأعوام اليونان الشمسية .

وفي السنة ١٤٣٧ للثوراني (١١٢٦ م) فتك الفرنج في كفرطاب بصاحب حماة واحتلوا جبلة وشددوا على صور حتى وصلت مراصك البندقيين الفرنج واقبل ملك اورشليم الى مساعدتهم واحتلوا المدينة بعد معارك طاحنة .

وحشد الملك عرب جنوده وحمل على اخيه مسعود سلطان قونية لاتفاقه مع ابن دنشند . فانهزم مسعود الى قسطنطينية ورحب به ايوبى ملك اليونان ترحيباً جميلاً واعطاه ذهباً وجيشاً كثيراً فخرج قاصداً غازي ثم انطلقاً معاً يريدان عرب فانهزم عرب الى بلد تورس الارمني صاحب قيليقية .

وفي السنة المذكورة طفر عشرة اسميليين على آقسقور برسوق أمير الموصل وهو في مجدها الكبير القديم فنبض وبطش بثلاثة منهم ثم حمل عليه بقتلهم وقتلوه . وخلفه عز الدين مسعود ابنه في الموصل وجزيرة قردو وما بين النهرين وحلب وحماة وغيرها . رعاش سنة واحدة ومات . وخلفه اخوه الصغير يناظره الأمير جاوي التركمي احد عبيد ابيه برسوق . وهذا جاوي ارسل أبا الحسن علي بن شهرزوري قاضي الموصل وصلاح ياجوباساني بمثابة سفيرين الى السلطان

في بغداد تأييداً لابن برسوق الصغير في الولاية . غير انها قالوا للسلطان : ان الموصل في حاجة الى رجل (٢٨٧) منبجذ في الحرب يستطيع مناهضة الفرنج الذين زعزعوا العرب جميعاً . وأشاروا الى اتابغ زنكي بن قاسم الدولة آقسنقور وكان شحنة في واسط وبغداد . فوافقها السلطان وكتب له غزماً ثروياً الى تلك المدينة . فر ببلدة بيت وازين واحتلها ولماً بلغ الموصل بعث جاولي الى الرحبة ورئى صلاح ياجوباني حراسة القلعة ونصب ابن شهرزوري قاضياً على الموصل ولاحقاتها يخلفه في القضاء نسله على كرور الزمان . وتولى زنكي كذلك الجزيرة واربيل وسنجار والرحبة وحلب وحماة وحمص .

وفي السنة ١١٣٨ لليونان (١١٢٧ م) أقتل غازي وعرب كذلك فانكسر عرب وحقه غازي وابتدأ خيامه وانطلق الى قومانة وانقرة وحاصرها حصاراً شديداً حتى احتلها وأخرج محمداً ابنه وكان ملك عرب قد حبه هناك . ثم حشد عرب الجيوش ثانية وزحف يريد غازي فانكسر وانهمز الى بلاد اليونان وضاع خبره .

وفي السنة المذكورة أقبل من رومية بوهيند بن بوهيند الفرنجي ووصل الى انطاكية وتولى امرها . وثار خلاف بين الفرنج فقرا جوسلين ضواحي انطاكية كلها . فسخط عليه بطريركهم وأغلق ابواب الكنائس وأبطل قرع التوائس والصلوات ريثما رد جوسلين الفدية بأمرها .

وفي السنة ١١٣٩ لليونان (١١٢٨ م) قرّر الحليون ان يؤذوا جوسلين كل عام اثني عشر الف دينار خوفاً منه لتلايضيق عليهم . واذ ذاك أغوى بعض اترك حلب فريقاً من طبأخي الفرنج ودفعوا لهم ذهباً فسقوا جوسلين وستة من فرسانه ثمأ قضى على حياة الستة وصانت العناية الالهية جوسلين وعالجه الاطباء . حتى تعافى فقتل الذين سقوه السم وقتك بارولادهم جميعاً .

وفي هذه السنة سار طغرل ارسلان الى ملطية (٢٨٨) وكانت قد انتزعت من يده فقرا اطرافها الخارجية وانقلب وضاع خبره .

وفي السنة ١١٤٠ لليونان (١١٢٩ م) وصل جوسلين الى آمد وغزا التركمان والاكراد في جبل آشوم ونهب قرى آمد حتى بابها .

وفي السنة عينها بلغ زنكي ان السلطان ينوي ان ينصب دُبَيْسَ زعيم
 المديتين اميراً بدلاً منه في الموصل . فأتخذ الى بغداد وتذلل له وأدى له
 مائة الف دينار وتوسّل اليه ليؤيّده في مكانه . وقدم للخليفة هدايا وافرة
 كي لا يدع لدُبَيْس مكاناً يتولاه البتة . وكان قد جرى بين الخليفة ودُبَيْس
 وقائع كثيرة حتى انضم الى السلطان وازدراه وسار الى بغداد وجعل يركب
 غادياً راحاً مطمئناً مستحقراً الخليفة . ولما مرض السلطان سرق دُبَيْس ابنة
 الصغير وانهمز ففزا الكوفة والبصرة والحلة وحشد ذهباً وافرأ وضم اليه عشرة
 آلاف فارس مضى بهم الى البرية . وقس على ذلك حيلة جنة لا يسع هذا
 المؤلف الوجيز استقصاها فاضربنا عن سردها . وقيل انه في عراك جرى بين
 الخليفة ودُبَيْس انكسر دُبَيْس وسقط اصحابه جميعاً وأفلت وحده وعبر القرات
 على ظهر حصانه . فشاهدته عجوزٌ مديّة وقالت له بطأئينة : هل حضرت يا
 دُبَيْر ؟ اعني يا تاعس الخطّ . فقبّس دُبَيْس ولم يسخط عليها وقال لها : ان
 التاعس الخطّ هو من يتيّب ولا يحضرا

ودارت رحى الحرب في هذه السنة بين الفرنج والاسمعيّين واجتاح الفرنج
 منهم زهاء عشرة آلاف واحتلوا ما كان يدهم من الحصون الكثيرة في فينيقية .
 ووقع رعب الفرنج في قلوب عرب سورية جميعاً . وسار الفرنج الى دمشق
 وضيقوا عليها ثم فرضوا على اهاليها عشرين الف دينار في السنة جزية وتركهم
 (٢٨٩) وانصرفوا . واستولى الفرنج في تلك الاثناء على جميع البلاد من ماردين
 وشبكان حتى عرش مصر . ولم يبق للعرب في سورية الا حلب وحمص وحمص
 ودمشق تؤذي باجمعها الجزية للفرنج . فكانوا يأخذون من حلب نصف غلاتها
 حتى من الرحي التي بياب الجنائن . ووجّهوا وفوداً الى دمشق أحصوا كل
 من فيها من العبيد النصارى ونقلوا كل من لم يشأ الاقامة مع العرب دون ان
 يدفعوا شيئاً من الاثان لمواليهم . ووصلت جيوش الفرنج الى آمد ونصيبين وراس
 العين . وأمسى اهالي الرقة وحران بسبيهم في ضنك شديد . وتعذّر على العرب
 السفر من المشرق الى دمشق الا في طريق البادية .

وفي السنة ١٤٤١ لليونان (١١٣٠م) مات تورس والي تليقية وخلفه لاون

اخوه وناوشه يوهيند الفرنجي صاحب انطاكية .

وفي ٨ اذار السنة عينا وهي السنة ٥٢٤ للمرب حدثت زلزلة عنيفة في بندا قوضت مساكن كثيرة . وظهرت في الموصل سحابة كثيفة صبت وابلاً من الامطار تبعها-جمرات-نارية هائلة هبطت من الجوّ الى الارض واحرقت دوراً شتى مع اثائها .

وفي هذه السنة سار قيانس الزعيم البيرواني يريد غازي بن دنشند وسله حصوناً كثيرة في بلاد البنطس وتولى قبدوقية باجمها وحشد جيوشاً كثيفة وزحف الى قيليقية لينزوها . وحدث ان يوهيند صاحب انطاكية دخلها من ناحية اخري دون ان يشعر احدهما بصاحبه . وعند ذلك اشتعلت الحرب بين الاتراك والفرنج وظلّ لاون الارمني قابلاً لم يتعرّض للخصمين . فتغلب الاتراك واجهزوا على يوهيند يجهلون انه الملك . اما لاون فأغلق الثغور تجاه الاتراك وقتك بكثير منهم .

وفي السنة ٥٢٥ للمرب (١١٣٠م) قبض صاحب دمشق على ذبيس المدي وأرتقه وبثه الى زنكي (٢٩٠) صاحب الموصل واسترجع ابنه الأسير لديه .

وفي السنة ١٤٤٢ لليونان (١١٣١م) اقبل ملك اورشليم الى انطاكية وجاء اليها كذلك جوسلين من الزها فأغلق الانطاكيون الابواب في وجهها حتى أبرما بقم ان تبنى المدينة لابنة يوهيند ريثا تدرع وتدرج فيكون زوجها خلفاً لوالدها في انطاكية .

ودخل الامير غازي بن دنشند قيليقية ودوخ بعض الحصون . فتدخل له لاون الارمني وحلف ان يمنع لوصه عن العبث في بلده . وان يؤدي له الجزية سنة فسنة . لكنه أخلف في قسه ثانية ولم يزد له شيئاً .

وسار اسحق اخو ملك اليونان الى قيليقية وزف ابنته الى لاون المذكور واعطاه المنيصة وآطته بدلاً من جهازها . ثم حصل بينها نزاع وانهم اسحق وابنه الى بلد سلطان قونية .

وتوفي جوسلين وخلفه في الزها جوسلين الثاني . وفي تلك السنة غادر السلطان محمود مدينة بندا وتوجه الى خراسان . فاقبل اليه معود اخوه

واستطغفه وحمل امامه غطاء السرج فتلاثا . ورأاه السلطان محمود شؤون البلاد والساكر وركب الى همدان ومات هناك بالغا الثامنة والعشرين . فتارت الحصومة بين داود ابن السلطان محمود وبين مسعود وسليجوق شاه وطفول وكان طفول مع الملك سنجر عنهم . وارسل الثلاثة الى الخليفة يطلب كل منهم السلطنة لنفسه . فوافق الخليفة اول بدء على سنجر وبعث الى البقية يقول : فليات الى من يوافق عليه ويدفع له كتاب الرضى فاقبله انا كذلك . ثم كتب الى سنجر يقول : اننا لن يزيد غيرك ولن نسح لاحد ان ينسلط دونك . ولما بلغ مسعودا جواب الخليفة سار الى الموصل يريد زنكي وسأله (٢٩١) ان يسعفه بمال يؤديه للخليفة ويسله لدبوس زعيم المديين ليذهب به اليه وبذلك يصنع اليه جيلا . اما زنكي فقال : اني ادفع خمسين الف دينار ذهباً وكل ما تشاء من عبيد وجوارب وخيل ولكني لا اسلم ديبس اصلاً لان السلطان سنجر نهائي عن تسليمه ولا يتيسر لي ان اخالف امره . فارتاب مسعود وخرج فاقام غربي الموصل . واغلق زنكي ابواب المدينة ورحل جميع الساكنين الذين يتعذر عليهم ان يعيشوا في الحصار وتحصن هو في القلعة . اما مسعود فلم يجارب الموصل بل انحدر الى بغداد وارسل يقول للخليفة : ان ناديتم باسمي اصبحت صديقاً وطائعاً والآن فليس لكم عندي الا السيف .

فبرز عاكر بغداد وتعاركوا مع عساكر مسعود فكسروا وانكسروا . وجاءت الاخبار في اثناء المعركة بان سنجر قادم الى بغداد في جيوش ضخمة . فتخوف البغداديون ورأى الخليفة ان مسعوداً اقوى من سنجر فعاهده وأدخله وأقامه في القصر الملكي واتفق الجميع على مناوشة سنجر .

وفي السنة ٥٢٦ للمرب (١١٣١م) وصل سنجر الى همدان واحتأها ونادى فيها باسم طفول بن محمود وكان معه . اما مسعود قائد جيش الخليفة فتوجه كذلك الى همدان متبعا جيوش سنجر . وارسل الى الخليفة ليذهب بنفسه الى مقاتلته . ولما تهيأ للرحيل وصل الخبر بان زنكي ودبوس المدي قد اتفقا وعولا على التزول الى بغداد . فعاد الخليفة الى داره ليستعد لمحاربتها . ثم برز في الفين من جيشه وتطلب عليها . وانهمز زنكي الى تكورت ودبوس الى

سواحل الفرات . وارسل زنكي القاضي ابن شهرزوري الى الخليفة يستغفره
وينتظر أمره ليذهب (٢٩٢) اليه ويتولى شحنة بغداد من قبل سنجر . فقال
الخليفة للقاضي : ان سنجر لا سلطنة له عندنا ولا نقبل له شحنة . واذا احب
زنكي مصالحتنا لزمه ان يسلمنا دُبَيْس ويمكث هو في الموصل مطمئناً وآلاً فاننا
زاحنون اليه .

وفي الشهر الاول من السنة ٥٢٧ للعرب (١١٣٢م) دخل السلطان مسعود
بغداد ونودي بعد الخليفة وابنه باسمه واسم سنجر واسم داود مآ : ثلاثهم
سلاطين . وزحف الخليفة المسترشد الى الموصل وحاصرها ثمانين يوماً فامتعت
عليه . وبلغه الخبر بان السلطان مسعوداً انتفض عليه فدرك الموصل وكرّ عائداً
الى بغداد .

اماً جوسلين الثاني فاحتل قلعة شبكان وقوضها تماماً . وزحف ايوني
ملك اليونان ودوخ حصن قسطونة وانتزعه من الاتراك صالحاً . واحتل حصتين
آخريين عنوة . واحتل بغدوين ملك اورشليم الفرنجي قلعة القصير بجانب انطاكية
عنوة . وسار الى عام فاحتشد هناك الاتراك كالجراد ليقاتلوا الفرنج . وانهمز
الفرنج في اول الامر حتى استدرجوا الاتراك الى البقاع ثم انحدروا وتصلحوا
وتصافحوا وحلوا جميعاً على الاتراك حملة واحدة وضربهم ضربة قاضية حتى
الماء . وتم ذلك عام ١٤٤٥ لليونان (١١٣٤م) .

وفي تلك السنة ظهر جراد كثير ببلد الزها . واستغاث المسيحيون بالصفي
برصوما^{١١} وارسلوا فاستحضروا صندوقة ذخيرة . فارتحل عنهم الجراد باعجوبة
ولم يوذ البلد كله اصلاً . فضعف الروم وسخطوا وحرضوا بيوس مطران الفرنج
ليفتح الصندوقة ويشاهد الذخيرة . لكن الرهبان ابوا ذلك فجعل الروم يستهزئون
(٢٩٣) ويقولون : لا شيء . في الصندوقة . واضطر الرهبان اخيراً ان يفتحوها
في بيعة الفرنج . وحدث للحال رعد هائل وتلبدت سحب سوداء في الجو وهبط

(١) ان برصوم هذا كان من الراميين بالطيبة الواحدة . وقد حرمه المعجم الخليلي
المسكوفي عام ١٥١ بحضور ستمائة وستة وثلاثين اسقفاً . وكان ابو الفرج اللطفي مؤلف
هذا التاريخ من مناصري ذلك الزعم .

بَرَادَ تَمَّالَ مَلَأَ الشَّوَارِعَ وَاحْتَدَ الشَّجَرَةَ كَأَنَّهَا بَصْرَخُونُ كَبِيرًا لَسُونَ أَرْحَمَنَا يَا صَفِيَّ
 اللَّهُ ! أَمَّا الْيُونَانُ فَانْهَزَمُوا وَاسْتَخَفُوا . وَلَمَّا انْقَطَعَ الْبَرَادُ احْتَشَدَ الْإِهَالِيُّ وَثَابَرُوا
 الصَّلَوَاتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . وَلَمَّا شَهِدَ الْعَرَبُ الْحَرَّانِيِّونَ تِلْكَ الْإِعْجَبِيَّةَ سَأَلُوا إِنْ
 تُنْقَلُ إِلَيْهِمُ الذَّخِيرَةُ لَكِنْ الْفَرَنْجُ لَمْ يَلْتَبُوا - وَهُمْ بَلَّ رَدَّوْهَا إِلَى الدَّيْرِ بِأَكْرَامٍ .
 ثُمَّ أَقْبَلَ الْمَلَطِيُّونَ وَنَقَلُوهَا إِلَيْهِمْ فِي الْإِنشَادِ وَالصَّلَوَاتِ . وَرُبِطَ نَخْلُ الْجِرَادِ وَلَمْ
 يُوذَّ الزَّرْعُ اصْطِلَا .

وفي ٢٣ ايلول احرق الرعد سبعة تيران وصيياً . واحرق صيياً آخر في سينادو .
 وحدثت زلزلة قوية في ارمينية اجتاحت مدينة دكودوف . وحدث في ملطية
 شتاء قاس . وانلجت تلجاً أحمر .

وفي السنة ١٤٤٦ لليونان (١١٣٥ م) اقبل من ايطالية ريموند دي فوتيرس
 وزفت اليه بنت يوهيند صاحب انطاكية وتولى امارتها . وفي السنة عينها
 مات بندوقين الثاني ملك اورشليم وزفت ابنته الى فلك فظفنه في مكانه .

وفي السنة عينها سير زكي صاحب الموصل ابنه الى بغداد مع مفاتيح
 المدينة وبعض نساؤه بثابة ودائع . واقدم بالطاعة فغاز الرضى والقبول . واصطليح
 الخليفة والسلطان سنجر كذلك وارسل اليه الخليفة تاجاً وطوقاً وحصاناً بنعلين
 ذهبيتين . فنهض سنجر وقبل حوافر الحصان وأيدى الطاعة للخليفة .

وفي تلك الفنون خرج ابن جبارا جانليق الناصرة (١١٣٣ - ١١٣٥)
 ليلاً الى الخديفة فوطى حية لدغته ومات . وذكر بعضهم ان الحية لم تلدغه
 لكن الرعب قضى على حياته .

وفي السنة ذاتها ارسل الخليفة طوقاً ذهبياً الى الامير غازي بن دنشند
 (٢٩١) دلالة على العبودية ووصولنا ذهبياً واربعة بنود - سرداء وطبولاً - تدق
 امامه وسماه الملك غازي . ولما وصل السفراء شاهده مريضاً وما عثم ان مات .
 فاقاموا ابنه محمداً خلفاً له وعادوا . وهذا الملك محمد جد قيسارية قيدوقية
 التي كانت قد تهدمت منذ امد طويل واتخذها عاصمة له . ثم سار الى ملطية
 متحوقاً اتفاق الزعماء مع اخيه ونقل معه الهدايا للأحرار ثم انقلب فوثب الى
 اخيه بياجان وقتله وغزا دولته اخوه الثاني بلد ملطية .

وفي الشهر السابع من هذه السنة ألقى الخليفة المسترشد المنادة باسم
السلطان مسعود . وحشد سبعة آلاف عسكري لمقاتلته وقد بلغه ان ليس مع
السلطان الألف وخمسمائة عسكري لا غير . لكنه بعد هذا اصبح مع الخليفة
خمسة آلاف ومع مسعود خمسة عشر ألفاً واصطدم الجيشان فانكسر جيش الخليفة
واعتقل الخليفة ذاته . ونُهبت الثروة التي كانت معه وهي سبعون حمل بفلر
ذهباً وبنضة وخمسة آلاف حمل جل واربعمائة حمل بفلر اقشة وثياباً وسائر لوازم
الطريق في جملة اربعون ألفاً من عمامات وطرايش واقصة باكامها كاملة الحياطة .
ثم أمر مسعود ان ينادى في الجيش بان لكم الاموال والامنة ولي الدماء .
وان من قتل رجلاً تلتئ بدلامنه . ولذا لم يُقتل الا خمسة اشخاص فقط .
ونادى المنادي كذلك بان من يبقى ههنا من حزب الخليفة يُقتل . فازدحم
البغداديون وانهمزوا عراة حفاة يئنة ويسرة . وارسل السلطان مسعود يقول
للخليفة ان يكتب كتاب الرضى ويصرح للبغداديين بانه متشع في مجبوحة
من الجيش لديه وانه لن يتأخر عن القدوم اليهم . غير ان البغداديين عرفوا
ان الخليفة قد كتب ما كتب (٢٩٥) خوفاً . فأحدثوا ضجة قتل في اثنائها
نحو مائة وخمسين من العامة ثم هذبوا كيفما كان .

واخذت الزلازل تتاب بغداد في تلك الاثناء . كل يوم خمس مرات اوست
مرات . فارسل السلطان سنجر سفيراً الى السلطان مسعود في رسالتين الاولى
سرية ضمنها سباً وشتاً لانه لم يفك بالخليفة في اثناء المععة . والثانية مفتوحة
يقول فيها : اذا طالعت هذه السطور يا بُني غياث الدنيا والدين مسعود فاقصد
امير المؤمنين وقيل الارض امامه واستغفره عن ذنبك . اذ لا يسعني الصبر عما
يحدثه الله سبحانه بسبب ذلك من آيات السماء والارض : كالرياح والصواعق
والبروق والزلازل الارضية وقد أمسى العرب قاطبة حزاني والتفت الصلوات
وأغلقت ابواب المساجد في بلاد المعجم وسنار جميعاً . أعيد اذن الخليفة باكرام
الى كرسية دون تملأ او تبسج . وادفع له دُبيس ليجري به ما شاء لانه
سبب هذه الفتن بأسرها .

ولما اطلع مسعود على ذلك كله أمر فقتلوا خياماً كبرى واقاموا الخليفة

هناك . وحملوا امامه الاغضية نحو نصف فرسخ ثم جاء به مسعود الى خيمته الملكية الكبرى واستغفره عن ذنبه . وقدم له دُبَّيس مرتقاً ومعه سيف ركفن وقال : ان هذا هو الذي اجترم كل هذه الشرور وهذا اسلمه لك فتر ان يعاقب حسب جرمه . ألا ان الخليفة أدرك ان تلك المباراة صادرة من الغم لا من القلب فغفر لدُبَّيس . ولذا اضطره مسعود ان يذهب الى بغداد . لكن الخليفة أبي الذهب وقال : لست اذهب إلم تأت بمي . فقال مسعود اني مرسل معك أمراء يخذونك لتذهب بكل اجلال وتجلس في دارك . لكن الخليفة لم يرض لحوفه من ان يضمو له كيناً في الطريق ويبطشوا به سرّاً اذ لا يسعهم (٢٩٦) ان يقتلوا جهوراً امام دينهم .

واعتم مسعود ان يتوجه الى اذربيجان ليقاتل دارد ابن اخيه وتوجه معه الخليفة كذلك . ثم ارسل سنجر وفوداً الى مسعود من مراغة وهو عند بابا وحرّضه ان يرد الخليفة الى بغداد دون تريت . وكان في جملة اولئك الوفود بسة عشر من الاصيليين . ويوم الخميس وقت الظهيرة ١٦ الشهر الحادي عشر عام ٥٢٩ للهجرة (١١٣٤ م) وتبوا اليه وهو يطالع كتاب القرآن في الحية وفي ايديهم السكاكين واجهزوا عليه وعلى ثلاثة من حشده . فركب مسعود واحدق بالحمام وقتك بالقتلة . قيل ان سنجر لم يكن عنده علم بالاصيليين لكن الحقيقة هي انه هو الذي ارسلهم دون علم مسعود .

بعد المسترشد الراشد ابنه

توتى سنة واحدة . ذلك انه على اثر قتل ابيه المسترشد ارسل السلطان سنجر الى شحنة بغداد يأمر ان يجتمع الاقطاب والقضاة ويبايعوه بالخلافة ويجلسوه مكان ابيه . فتعدوا امره . وفي تلك الاثناء غدر دُبَّيس بن صدقة بالسلطان مسعود فكتب رسالة الى زنكي يقول : اني مقرب الفرصة لاغادر هذا واتوجه اليك واحشد من الجنود المديين ما يقابل دمال شاطي البحر ثم نتفق مما ونفعل مع مسعود فعلاً مجلد ذكره الى الاجيال التالية . وقد وقت تلك الرسالة يد من اوصلها الى مسعود . ولما اجتمع الاقطاب لديه يوماً

وسقاهم ماء السكر كالعادة ونهضوا ليودعوه اشار الى ذبيس ان يتربص وقال له ان لي ملك كلمة سرية . فوقف ونهض معمود ودخل الحيمة الداخلية ودفن رسالة ما الى عبد ارميني حامل سيفاً وقال له : امض فادفنها الى ذبيس وعندما يبدأ قراءتها اضربه من ورائه (٢٩٧) وافلتق هامته . فخرج العبد وشاهد ذبيس يضرب باصبعه في الارض ويقول : الموت خير لي من حياة مضطربة . فقدم له الرسالة فاخذها وفتحها وجعل يقرأها ففاجأه العبد بضربة في رقبته من ورائه وحز هامته . وهكذا انتهت حياة هذا الرجل المراوغ المصارع . وتم قتله بعد خمسة وثلاثين يوماً مرت على قتل الحليفة المسترشد خصه .

وفي السنة ١٤٤٧ لليونان (١١٣٦ م) وهي السنة ٥٣٠ للحرب أخلف ميخائيل الارمني بوعدة للفرننج اذ كان قد سبق فباعهم ايام بلك قلعة جرجر وخرج عنها فانقلب وانحرف عنهم وجعل ينزرو قراهم . فادركه الاتراك يوماً في قرية كور ويزونا على ساحل القرات واحدقوا به من كل صوب ولم يستطع ان يفلت منهم . فألقى بذاته من علو الصخر الى النهر وكان متخطفاً بدوع حديدي فغرق في الماء . ثم طفا وتخلص الى جهة النهر الثانية ولم يفرق ولم يلتق من يده الترس على ما قيل . وبعد هذا تحلى لجوسلين الثاني عن مدينة جرجر وأخذ بدلاً منها موضعاً يقال له سفس . ثم اشتراها بايل اخو جاتليق الارمن من جوسلين . فحشد ميخائيل السكر وسار الى الكيسوم وغزا ضاحتها فترصد له الفرننج وفتكوا به . ثم توجه دغا بايل يريد لاون في قيليقية وصاهره . وحشد بعض الارمن وانقلب ايناروش الفرننج في كفر زمان فتلغ الكثير من اصحابه .

وفي كانون الثاني من هذه السنة اشتد البرد خصوصاً في آمد ففرت الى المدن صنوف الطيور الجليية كالجلج وما شاكله وحيوان القفر كالغزال وغيره . وأمر الحاكم جميع الاهالي ان لا يؤذوها . فحصلوا يقدمون لها القوت حتى شهر نيسان ثم سرحوها . قيل ان تلك الطيور والحيوانات جلت منذ الحريف تدخل المظاور كأنها سبت فشرت بمجدوث البرد منذ اذ تمأ يدل على (٢٩٨) انه تطالى قد

غرس في طبائع الحيوان معرفة تقلبات الفصول قبل حدوثها .

وفي هذه السنة سَيرَ السلطان مسعود الى الخليفة الراشد سفيراً يطالبه بثلاثمائة الف دينار سبق فوعده بها والده المسترشد يوم كان عنده . وثلاثمائة الف دينار غيرها يجب ان يجعها من البغداديين مساعدة له ويضم اليها حقوق الخلافة الجديدة كالعادة . فاجتمع الخليفة باقطابه وشاورهم في الأمر وانتبها بان يمشد الخليفة جيوشه وينازل مسعوداً . فارتضى الخليفة وفتح خزائنه واخرج ذهباً وافرأ واستخدم عساكر كثيرة . ثم ارسل يقول للسفير : انا وعدت ابي ما وعد من الذهب لاجل نجاحه ولكثرتكم قتلتموه . بناء عليه لا بد لي من الانتقام وليس لكم عندي الا السيف . وما ان سمع السفير هذا الكلام حتى ترك الخليفة وانقلب عائداً . وجعل الخليفة يدأب في بيسان الأسوار وترميم الأبراج . واقبل يومئذ زنكي صاحب الموصل لينجده . ووصل كذلك داود ابن اخي السلطان مسعود . وحاول الخليفة ان يلقي المناداة باسمه وينادي باسم داود لكن زنكي ابي وقال : لا تتحرشوا بمسعود بل قولوا لداود ان يذهب ويتقابل عته فاذا قايد نادينا باسمه . غير ان الخليفة رفض قول زنكي وانتهى اسم مسعود ونادى باسم داود سلطاناً . فارسل مسعود الى الخليفة يقول : قد اصبحنا في غنى عنك واقنا خليفة موافقاً لنا من سلالة علي فاجت من مكان آخر واخرج وامض حيث شئت .

اضطرب الخليفة وأرسل الى يهروز امير تكريت وأخبره انه متوجه اليه ليتحصن في قلعه . فكتب له يهروز : انا عبد لمسعود ولا سبيل لي ان اخالفة اذا طلبك مني . فاضطر الخليفة ان يمد المدة لمحاربة مسعود وبث بجيابه الى ضواحي بغداد وابقى عنده زنكي وسائر الاقطاب . ووصل اذ ذاك (٢٩٩) الخبر بان مسعوداً قادم في جيوش كثيفة . وخاطب زنكي الاقطاب فقال : عرفتم ما جرى للمسترشد بسبب انتقاض اقطابه فلم يستفد هو ولا هم شيئاً . فقولوا لي اذن : هل نيتكم مستقيمة ؟ وهل انتم مستعدون بطيبة خاطركم لمحاربة السلطان مسعود ؟ اني اريد ان اعرف ذلك والا فليجمع كل الى بلده وليضرب عن التصادم والنهب والحرب وليكتف كل بما له .

انعم الاقطاب خطابُ زنكي ولاذوا بالصمت وجعل كل واحد يحدق في صاحبه وتحقق لزنكي خداعهم وأخبر الخليفة . وبعد هذا نهضوا جميعاً ودخلوا المدينة ونصبوا خيامهم داخل السرور وتركهم زنكي وشأنهم وعاد الى المرسل . ولم ير الخليفة الا ان ينهزم معه اذ تعذر عليه ان يشطهم عن الحرب . ودخل اذ ذلك السلطان مسعود بغداد وأحسن الى اهاليها ونهى ابتزاز اي بيت كان . ثم اجتمع بكل الاقطاب وعرض عليهم صل الخليفة الراشد مكتوباً بخط يده وفيه يصرح قائلاً : اني يوم احشد الجنود واخرج الى مبارزة امير من امراء السلطان مسعود اصبح خليفاً عن الخلافة . وكان حاضرأ في حملة اولك الاقطاب ثلاثة شهود متن امضوا ذلك الصك بتواقيعهم وآيدوه بشهادتهم . وبناء عليه خلعوا الراشد شرعاً وذكروا من الجملة شكارى اخرى بجمعة منها انه خرق حرمة جوارى ابنة وعافر الحسرة واعرض عن الصلوات ولعب بالكماب وقادى في الظلم والتدر وسفك دماء زكية .

(اه صلة)

